الأبعادُ الزَّمانِيَّةُ
فِي قَصِيدَةِ المتَنبّي الكافِيَّةِ الأخِيرَةِ

إعداد الدكتور

عُمَرُ بنُ بَشَيرِ أحمَدَ صِدِّيقِيّ

قسم اللغة العربية وآدابها

كُلّيّةُ العُلُومِ وَالآدابِ فِي عُنَيزَةَ، جامِعَةُ القَصِيمِ

المملكة العربية السعودية

مجلة
كلية
الدراسات
الإسلامية
والعربية

الأبعادُ الزَّمانِيَّةُ فِي قَصِيدَةِ المتَنَبّي الكافِيَّةِ الأخِيرَةِ

عُمَرُ بنُ بَشَيرِ أَحمَدَ صِدِّيقِيّ

تخصص الأدب والنقد، قسم اللغة العربية وآدابها، كلية الدراسات العليا، جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا، الخرطوم، السودان.

البريد الإليكتروني: um.siddiqui@qu.edu.sa

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية

المَلخَّــصُ :

يَقُومُ هَذا البَحثُ عَلَى تَتَبُّعِ الأَبعادِ الزَّمانِيَّةِ فِي قَصِـيدَةِ المتَنَبّي الكافِيَّةِ الأَخِيرَةِ ، بِحَصـرِ الأَفعالِ الظّاهِرَةِ وَالمقَدَّرَةِ فِيها ، مَعَ التَّنبِيهِ عَلَى ما وَقَعَ فِي فِعلِيَّتِهِ خِلافٌ بَينَ الشُّــرّاحِ ، وَيَتَناوَلُ كَذَلِكَ دِلالاتِ الصِّــيَغِ الفِعلِيَّةِ الَّتِي عَدَلَ المتَنَبّي إِلَيها عَن غَيرِها ، مَعَ مُراعاةِ الكَلِماتِ المتَعَلِّقَةِ بِالزَّمَنِ مِن غَيرِ الأَفعالِ ، وَالتَّطَرُّقِ إِلَى مَسأَلَةِ الحَرَكَةِ فِي الزَّمَنِ داخِلَ القَصِيدَةِ ، وَكُلُّ ذَلِكَ أَسهَمَ فِي تَكوِينِ الدّائِرَةِ الزَّمانِيَّةِ المتَكامِلَةِ فِي القَصِـيدَةِ . وَيَتَناوَلُ البَحثُ ذَلِكَ كُلَّهُ بِالشَّـرحِ وَالتَّحلِيلِ، مُصاحِبًا فِي تَناوُلِهِ الأَثَرَ الفَنِّيَّ وَالجَمالِيَّ لِهذا الاستِخدامِ عِندَ المتَنَبّي ، فِي مُحاوَلَةٍ لِلوُصُولِ إِلَى عُمقِ المعنَى ، وَتَوجِيهِ فَرَضِــيَّةٍ يُنتِجُها التَّأَمُّلُ ، كَما قالَ الإِمامُ الجُرجانِيُّ : « أَن تَعقِلَ مِنَ اللَّفظِ مَعنًى ، ثُمَّ يُفضِي بِكَ ذَلِكَ المعنَى إِلَى مَعنًى آخَرَ » (دلائل الإعجاز) .

الكلمات المفتاحية: المتنبي – الكافية – الصيغ الفعلية – الأبعاد الزمانية – العدول.

The temporal dimensions in the last adequate cafeteria poem

Umar bin Bashir Ahmed Siddiqui

Major in Literature and Criticism, College of Graduate Studies, Sudan University of Science and Technology, Khartoum, Sudan.

Email: um.siddiqui@qu.edu.sa

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية

Abstract:

This search to track dimensions Temporal in a poem Mutanabi sufficient latter, limiting acts phenomenon and assessed where, with the alarm on what happened in the Flath dispute between the commentators, and also addresses the implications of the actual formulas amended Mutanabi to all others, taking into account the related words in time of non-verbs And touching on the issue of movement in time within the poem, and all of that contributed to the formation of the integrated circle of time in the poem. The research deals with this whole explanation and analysis, accompanied in dealing with technical and aesthetic impact of this use when Mutanabi, in an attempt to reach a depth of meaning, and guide the hypothesis produced by meditation, as Imam Jerjani said: «The prudence of the meaning of word, then leads you that meaning to another meaning

Key words: Al-Mutanabbi - Adequacy - Actual Formulas - Time Dimensions - Adul.

نَصُّ القَصيدَةِ بِروايَةِ الواحِدِيِّ [١]

قالَ أَبُو الطَّيِّبِ المتَنَبِّي يُوَدِّعُ عَضُدَ الدَّولَةِ [٢] فِي شَعبانَ سَنَةَ أَربَعٍ وَخَمسِينَ وَثَلاثِ مِئَةٍ:

١ فِـدًى لَـكَ مَـن يُقَصِّـرُ عَـن مَـداكا فَـــلا مَلِـــكٌ إِذَن إِلّا فَـــداكا

٢ فَلَـو قُلنـا فِـدًى لَـكَ مَـن يُسـاوِي دَعَونـــا بِالبَقـــاءِ لِمَـــن قَلاكـــا

٣ وَآمَنّـــا فِـــداءَكَ كُـــلَّ نَفـــسٍ وَإِن كانَـــت لِمَملَكَـــةٍ مِلاكـــا

٤ وَمَـــن يَظَّـــنُّ نَثـــرَ الحَـــبِّ جُـــودًا وَيَنصِـبُ تَحـتَ مـا نَثَـرَ الشِّـباكا

٥ وَمَـــن بَلَـــغَ التُّـــرابَ بِـــهِ كَـــراهُ وَقَـد بَلَغَـت بِـهِ الحـالُ السُّـكاكا[٣]

٦ فَلَـــو كانَـــت قُلُـــوبُهُمُ صَـــدِيقًا لَقَـــد كانَـــت خَلائِقُهُـــم عِـــداكا

٧ لأَنَّـــكَ مُـــبغِضٌ حَسَـــبًا نَحِيفًـــا إِذا أَبصَـــرتَ دُنيـــاهُ ضِـــناكا[٤]

٨ أَرُوحُ وَقَـد خَتَمـتَ عَلَـى فُـؤادِي بِحُبِّـــكَ أَن يَحُـــلَّ بِـــهِ سِـــواكا

(١) القصيدة من الوافر ، في ديوانه ؛ الفسر ٢/ ٦٣٤ ، ومعجز أحمد ٤/ ٤١٠ ، وشرح الواحدي ٨٠٠ ، والتبيان ٢/ ٣٩٤ ، والصفوة ٢/ ٥٥١ ، وبعض أبياتها في : الفسر الصغير ١٠١ ، وقشر الفسر (المانع) ٢٢٢ ، وقشر الفسر (رجب) ٢٧٠ ، واللامع العزيزي (المولوي) ٢/ ٨٥٧ ، واللامع العزيزي (الفلاح) ١/ ٨٥١ ، والفتح على أبي الفتح ١٩٧ ، والصبح المنبي ١٦٦ .

(٢) أبو شجاع فناخسرو بن الحسن رُكن الدَّولة ابن بويه الديلميّ ، صاحب فارس والعراق ، عرف بالشجاعة والبطش والفتك ، وصنف له بعض العلماء ، ومدحه الشعراء ومنهم المتنبي في آخر عمره ، مات سنة ٣٧٢هـ . تنظر ترجمته في : وفيات الأعيان ٣ / ٤٨٤ ، سير أعلام النبلاء ١٢/ ٢٨٧ .

(٣) السُّكاك : الجَوُّ .

(٤) الضِّناكُ : المرأَةُ السَّمِينَةُ الممتَلِئَةُ باللَّحمِ .

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية

٩ وَقَـــد حَمَّلتَنِـــي شُـــكرًا طَـــوِيلاً ثَقِـــيلاً لا أُطِيـــقُ بِـــهِ حَراكـــا

١٠ أُحـــاذِرُ أَن يَشُـــقَّ عَلَـــى المطايـــا فَـــلا تَمشِـــي بِنـــا إِلّا سِـــواكا[١]

١١ لَعَـــلَّ اللهَ يَجعَلُـــهُ رَحِـــيلاً يُعِـــينُ عَلَـــى الإِقامَـــةِ فِـــي ذَراكـــا[٢]

١٢ فَلَـــو أَنِّـــي استَطَعتُ خَفَضـــتُ طَرفِـــي فَلَـــم أُبصِـــر بِـــهِ حَتَّـــى أَراكـــا

١٣ وَكَيـــفَ الصَّـــبرُ عَنـــكَ وَقَـــد كَفـــانِي نَـــداكَ المســـتَفِيضُ وَمـــا كَفاكـــا

١٤ أَتَترُكُنِـــي وَعَـــينُ الشَّـــمسِ نَعلِـــي فَتَقطَـــعَ مِشـــيَتِي فِيهـــا الشِّـــراكا

١٥ أَرَى أَســـفِي وَمـــا سِـــرنا شَـــدِيدًا فَكَيـــفَ إِذا غَـــدا السَّـــيرُ ابتِراكـــا[٣]

١٦ وَهَـــذا الشَّـــوقُ قَبـــلَ البَـــينِ سَـــيفٌ وَهـــا أَنـــا مـــا ضُـــرِبتُ وَقَـــد أَحاكـــا

١٧ إِذا التَّودِيـــعُ أَعـــرَضَ قـــالَ قَلبِـــي عَلَيـــكَ الصَّـــمتَ لا صـــاحَبتَ فاكـــا

١٨ وَلَـــولا أَنَّ أَكثَـــرَ مـــا تَمَنَّـــى مُعـــاوَدَةٌ لَقُلـــتُ وَلا مُناكـــا

١٩ قَـــدِ استَشـــفَيتَ مِـــن داءٍ بِـــداءٍ وَأَقتَـــلُ مـــا أَعَلَّـــكَ مـــا شَـــفاكا

٢٠ فَأَســـتُرُ مِنـــكَ نَجوانـــا وَأُخفِـــي هُمُومًـــا قَـــد أَطَلـــتُ لَهـــا العِراكـــا

٢١ إِذا عاصَـــيتُها كانَـــت شِـــدادًا وَإِن طاوَعتُهـــا كانَـــت رِكاكـــا

٢٢ وَكَـــم دُونَ الثَّوِيَّـــةِ مِـــن حَـــزِينٍ يَقُـــولُ لَـــهُ قُـــدُومِي ذا بِـــذاكا[٤]

---

(١) سِواكا : هَزلَى ضَعِيفَةً .

(٢) الذَّرا : الكَنَفُ والنّاحِيَةُ .

(٣) الابتِراكُ : سُرعَةُ السَّيرِ .

(٤) الثَّوِيَّةُ : مَكانٌ بِالكُوفَةِ .

٢٣ وَمِـن عَـذبِ الرُّضـابِ إِذا أَنَخنـا يُقَبِّـلُ رَحـلَ تُـروَكَ وَالوِراكـا[١]

٢٤ يُحَـرِّمُ أَن يَمَـسَّ الطِّيـبَ بَعـدِي وَقَـد عَبِـقَ العَبِيـرُ بِـهِ وَصـاكا[٢]

٢٥ وَيَمنَـعُ ثَغـرَهُ مِـن كُـلِّ صَـبٍّ وَيَمنَحُـهُ البَشـامَةَ وَالأَراكـا[٣]

٢٦ يُحَـدِّثُ مُقلَتَيـهِ النَّـومُ عَنِّـي فَلَيـتَ النَّـومَ حَـدَّثَ عَـن نَـداكا

٢٧ وَأَنَّ البُـدنَ لا يُعـرِقنَ إِلّا وَقَـد أَنضَـى العُـذافِرَةَ اللِّكاكـا[٤]

٢٨ وَمـا أَرضَـى لِمُقلَتِـهِ بِحُلـمٍ إِذا انتَبَهَـت تَوَهَّمَـهُ ابتِشـاكا[٥]

٢٩ وَلا إِلّا بِـأَن يُصـغِي وَأَحكِـي فَلَيتَـكَ لا يُتَيِّمُـهُ هَواكـا

٣٠ وَكَـم طَـرِبِ المسـامِعِ لَـيسَ يَـدرِي أَيَعجَـبُ مِـن ثَنـائِي أَم عُلاكـا

٣١ وَذاكَ النَّشـرُ عِرضُـكَ كـانَ مِسـكًا وَهَـذا الشِّـعرُ فِهـرِي وَالمـداكا[٦]

٣٢ فَـلا تَحمَـدهُما وَاحمَـد هُمامًـا إِذا لَـم يُسـمَ حامِـدُهُ عَناكـا

٣٣ أَغَـرَّ لَـهُ شَـمائِلُ مِـن أَبِيـهِ غَـدًا يَلقَـى بَنُـوكَ بِهـا أَباكـا

٣٤ وَفِـي الأَحبـابِ مُختَـصٌّ بِوَجـدٍ وَآخَـرُ يَـدَّعِي مَعَـهُ اشـتِراكا

(١) تُروَك : اسمُ ناقَةٍ حَمَلَهُ عَلَيها عَضُدُ الدَّولَةِ .

(٢) صاكَ الشَّيءُ بِالشَّيءِ إِذا لَصِقَ بِهِ .

(٣) البَشامَةُ وَالأَراكُ : شَجَرتانِ مَعرُوفَتانِ .

(٤) يُعرِقنَ : يَأتِينَ العِراقَ . وَالعُذافِرَةُ : النّاقَةُ الشَّدِيدَةُ . وَاللِّكاكُ : المكتَنِزَةُ مِنَ اللَّحمِ .

(٥) الابتِشاكُ : الكَذِبُ .

(٦) الفِهرُ : الحَجَرُ الَّذِي يُسحَقُ بِهِ الطِّيبُ . وَالمداكُ : ما يُسحَقُ عَلَيهِ .

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية

٣٥ إِذا اشــتَبَهَت دُمُــوعٌ فِــي خُــدُودٍ تَبَــيَّنَ مَــن بَكَــى مِمَّــن تَبــاكى

٣٦ أَذَمَّــت مَكرُمــاتُ أَبِــي شُــجاعٍ لِعَينِــي مِــن نَــوايَ عَلَــى أُولاكــا

٣٧ فَــزُل يــا بُعــدُ عَــن أَيــدِي رِكــابٍ لَهــا وَقــعُ الأَسِــنَّةِ فِــي حَشــاكا

٣٨ وَأَيَّــا شِــئتِ يــا طُرُقِــي فَكُــونِي أَذاةً أَو نَجــــــاةً أَو هَلاكــــــا

٣٩ فَلَــو سِــرنا وَفِــي تِشــرِينَ خَمــسٌ رَأَونِــي قَبــلَ أَن يَــرَوُا السِّــماكا

٤٠ يُشَــرِّدُ يُمــنُ فَنّاخُســرَ عَنِّــي قَنــا الأَعــداءِ وَالطَّعــنَ الــدِّراكا

٤١ وَأَلــبَسُ مِــن رِضــاهُ فِــي طَرِيقِــي سِــلاحًا يَــذعَرُ الأَبطــالَ شــاكا

٤٢ وَمَــن أَعتــاضُ عَنــكَ إِذا افتَرَقنــا وَكُــلُّ النّــاسِ زُورٌ مــا خَلاكــا

٤٣ وَمــا أَنــا غَيــرُ سَــهمٍ فِــي هَــواءٍ يَعُــودُ وَلَــم يَجِــد فِيــهِ امتِســاكا

٤٤ حَيِــيٌّ مِــن إِلَهِــي أَن يَرانِــي وَقَــد فارَقــتُ دارَكَ وَاصــطَفاكا

التَّمهيدُ

« **الزَّمانُ ظَرفُ الأفعالِ ، وَإنَّما قِيلَ ذَلكَ لِأنَّ شَيئًا مِن أَفعالِنا لا يَقَعُ إلا فِي مَكانٍ وَإلا فِي زَمانٍ ، وَهُما المِيقاتُ**» [١] ، وَمِنَ المعلُومِ لِدارِسِي الأَدَبِ أَثَرُ دِراسَةِ الزَّمانِ فِي النَّصِّ الأَدَبِيِّ ، وَما تَكشِفُهُ مِن مَكنُوناتِ التَّعبِيرِ الَّتِي يُقَدِّمُها النَّصُّ ، وَيَتَبَيَّنُ ذَلِكَ فِي دِراسَةِ الأَفعالِ بِصِيَغِها المختَلِفَةِ وَحُضُورِها فِي النَّصِّ ، إِضافَةً إِلَى التَّنَبُّهِ لِكُلِّ ما يَحمِلُ دِلالاتٍ زَمانِيَّةً تُكَوِّنُ مَعَ عُمُومِ السِّياقِ بُعدًا مَعنَوِيًّا مُهِمًّا يَتَعَلَّقُ بِالزَّمانِ ، وَتُمَكِّنُ مِن « استِكناهِ هِذِهِ الدِّلالاتِ وَإِدراكِ تَجاوُبِها بَعضِها مَعَ البَعضِ الآخَرِ ، وَالتَّدَرُّجِ بَينَها أَوِ الانتِقالِ مِن حالَةٍ زَمَنِيَّةٍ إِلَى أُخرَى ، حَتَّى تُفصِحَ عَن ذاتِ نَفسِها ، وَتَكشِفَ عَن دَورِها فِي بِناءِ القَصِيدَةِ كُلِّها » [٢] ، « وَلِهَذا يَكتَسِبُ الزَّمانُ –فِي النَّصِّ الأَدَبِيِّ– بُعدًا فَنِّيًّا يَنطَوِي عَلَى قِيمَةٍ وَمَعنًى » [٣] .

وَالمتَنَبّي كانَ « يُجَسِّدُ وَعيَهُ بِالزَّمانِ مِن خِلالِ أَساليبِ الكَشفِ عَن مَظاهِرِ الواقِعِ الاجتِماعِيِّ فِي عَصرِهِ » [٤] ، « وَمِن خِلالِ تَأَمُّلاتِهِ فِي الوُجُودِ ، وَنَغَماتِهِ المستَوحِدَةِ وَالشَّجِيَّةِ الَّتِي يُزاوِجُ فِيها بَينَ الحُزنِ وَالإِحباطِ الشَّخصِيِّ لِرَغَباتِهِ » [٥] .

وَقَد تَناوَلَ المتَنَبّي مُعاناتَهُ ، وَخِتامَ حَياتِهِ فِي قَصِيدَتِهِ الكافِيَّةِ الأَخِيرَةِ ، بِمُستَوَياتِ أَداءٍ مُختَلِفَةٍ ، راوَحَ فِيها بَينَ التَّصرِيحِ وَالتَّلمِيحِ وَالإِشارَةِ وَالقَصدِ ، مُستَخدِمًا فِي ذَلِكَ ما تَمنَحُهُ إِيّاهُ لُغَتُهُ العالِيَةُ، وَقُدرَتُهُ الفَنِّيَّةُ البَدِيعَةُ بِتَوظِيفِ الكَلِماتِ المختَلِفَةِ وَمَنحِها لِباسَ قَصدِهِ الخاصِّ .

---

(١) الأزمنة والأمكنة ١/ ١٣٩.

(٢) محمد حماسة عبد اللطيف ، اللغة وبناء الشعر ٣٨ .

(٣) حيدر لازم مطلك ، الزمان والمكان في شعر أبي الطيب المتنبي ٢٢.

(٤) المرجع السابق ٣٠ .

(٥) حاتم محمد ، أبعاد عصرية في شعر المتنبي ، مجلة آفاق عربية ، عدد٣ ، سنة ١٩٧٦ ، صـ ٤٧ .

وَذَكَرَ شُرّاحُ الدِّيوانِ أَنَّهُ تَطَيَّرَ عَلَى نَفسِهِ فِي مَواضِعَ عِدَّةٍ مِنها ؛ وَمِن ذَلِكَ قَولُ ابنِ جِنِّيّ : « **وَهِي آخِرُ ما سارَ مِن شِعرِهِ ، وَفِي أَضعافِ هَذِهِ القَصيدَةِ كَلامٌ جَرَى عَلَى لِسانِهِ كَأَنَّهُ يَنعَى فِيهِ نَفسَهُ ، وَإِن لَم يَقصِد ذَلِكَ** » [١] ، وَقالَ الواحِدِيُّ : « **وَهِيَ آخِرُ ما قالَهُ ، وَتَطَيَّرَ عَلَى نَفسِهِ فِي مَواضِعَ مِنها** » [٢] ، وَلِصِدقِ عاطِفَةِ المتَنَبّي فِيها اكتَسَبَت أَثَرًا فِي نُفُوسِ المتَلَقِّينَ ، وَبِخاصَّةٍ فِيما يَخُصُّ مَعنَى الوَداعِ، وَلِذا قالَ ابنُ الأَثِيرِ عَن بَعضِ أَبياتِها : « **وَهِي مِن مَحاسِنِ ما يُؤتَى بِهِ فِي مَعنَى الوَداعِ ، وَلَم يَأتِ لِغَيرِهِ مِثلُها** » [٣] .

وَالمتَأَمِّل فِي هَذِهِ القَصِيدَةِ يُدرِكُ حَقِيقَةَ أَنَّ المتَنَبّي لَم يَقُلها فِي رَحِيلِهِ عَن عَضُدِ الدَّولَةِ فَحَسبُ ، وَإِنَّما قالَها فِي رَحِيلِهِ عَنِ الحَياةِ ، وَلَعَلَّ هَذا مِن سِرِّ تَشاؤُمِهِ تُجاهَ أَيّامِهِ القادِمَةِ [٤] .

وَذاكَ يَعكِسُ كَونَ القَصِيدَة قامَت عَلَى زَمانَينِ ؛ زَمانِ قَولِها المتَضَمِّنِ لِلأَفعالِ وَعامَّةِ الكَلِماتِ المستَخدَمَةِ فِي مُختَلِفِ الصِّيَغِ وَالدِّلالاتِ ، وَزَمانِ غايَتِها أَو غايَةِ بَعضِها وَهُوَ الاستِقبالُ ؛ ذَلِكَ أَنَّ التَّطَيُّرَ تَرَقُّبٌ لِحُدُوثِ مَكرُوهٍ يَقَعُ فِي المستَقبَلِ .

وَقَد رَغِبتُ فِي أَن أَتَلَمَّسَ جانِبَ الأَبعادِ الزَّمانِيَّةِ فِي هَذِهِ القَصِيدَةِ وَتَناوُلاتِها عِندَ المتَنَبّي ، مُحاوِلاً الوُصُولَ إِلَى الأَثَرِ الدِّلالِيِّ وَالعُمقِ المعنَوِيِّ وَالبُعدِ الفَنِّيِّ لِهَذا الجانِبِ ، وذلك بتتبع العناصر التالية :

(١) الفسر ٢ / ٦٣٤ ، ومثله قال أبو العلاء والعكبري ؛ ينظر : معجز أحمد ٤/ ٤١٠ والتبيان ٢/ ٣٩٤ .

(٢) شرح الواحدي ٨٠٠ .

(٣) المثل السّائر ٢/ ٢٨٥ .

(٤) ينظر : إبراهيم البطشان ، كافيّة المتنبي الأخيرة وإشارات تنبؤٍ بالرحيل ، مجلة عالم الكتب ، المجلد ٢٨ ، صـ٥٥٣ .

١ -الأفعالُ الظّاهِرَةُ وَما فِي حُكمِها .

٢ -الأفعالُ المقَدَّرَةُ ، وَسأتناول فِيها مَسأَلَةَ تَقدِيرِ القائِلِ .

٣-أَثَرُ الصِّياغَةِ فِي تَشَكُّلِ المعنَى .

٤ -كَلِماتٌ لَها عَلاقَةٌ بِالزَّمانِ .

٥ -الحَرَكَةُ فِي الزَّمَنِ .

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية

١-الأفعالُ الظّاهِرَةُ وَما فِي حُكمِها :

١ / ١ جاءَت هَذِهِ القَصِيدَةُ فِي أَربَعَةٍ وَأَربَعِينَ بَيتًا ، وَهَذا مَبلَغُ مُتَوَسِّطِ قَصائِدِ المتَنَبّي الطِّوالِ ؛ فَلَم يَتَجاوَزَ هَذا العَدَد مِنَ الأَبياتِ إِلّا قَلِيلاً .

وَقَد كانَ لِلأَفعالِ بِخاصَّةٍ حُضُورٌ ظاهِرٌ فِي هَذِهِ القَصِيدَةِ ؛ فَلَم يَخلُ بَيتٌ فِيها مِن فِعلٍ أَو اثنَينِ إِلَى أَربَعَةِ أَفعالٍ ، وَبَلَغت الأَفعالُ الصَّرِيحَةُ الظّاهِرَةُ فِيها **مِئةً وَأَربَعَةَ أَفعالٍ** ، وَهُوَ عَدَدٌ يَكشِفُ شَيئًا مِن حُضُورِ الزَّمانِ الكَثِيفِ فِيها .

وَوَرَدَت كَلِمَتانِ اختَلَفَ الشُّرّاحُ حَولَ فِعلِيَّتِهِما ، وَأُولاهُما (فَداكا) فِي البَيتِ الأَوَّلِ :

فِـدًى لَـكَ مَـن يُقَصِّـرُ عَـن مَـداكا فَـــــلا مَلِـــــكٌ إِذَن إِلّا فَـــــداكا

فَقَد رُوِيَتِ الكَلِمَةُ (فَداكا) بِفَتحِ الفاءِ عِندَ عُمُومِ الشُّراحِ كَابنِ جِنّيٍّ وَغَيرِهِ [١] ، وَعَلَيها تَكُونُ

(١) ينظر : الفسر ٢/ ٦٣٤ ، ومعجز أحمد ٤/ ٤١٠ ، وشرح الواحدي ٨٠٠ ، والتبيان ٢/ ٣٩٤ ، والصفوة (ونصَّ الشارح على أنه فعل ماضٍ) ٢/ ٥٥١ ، واللامع العزيزي (المولوي) ٢/ ٨٥٧ ، واللامع العزيزي (الفلاح) ١/ ٨٥١ ، والصبح المنبي ١٦٦ .

فِعلاً ماضِيًا ، بَل يَرَى الواحِدِيُّ أَنَّها لَيسَت إِلّا كَذَلِكَ ؛ يَقُولُ : « وَقَولُهُ (إِلّا فَداكا) لا يَجُوزُ فِيهِ إِلّا فَتحُ الفاءِ لِأَنَّهُ فِعلٌ ماضٍ » [١] .

وَضَبَطَها بَعضُ الدّارِسِينَ (فِداكا) بِكسرِ الفاءِ [٢] ، وَعَلَيها تَكُونُ اسمًا .

وَالكَلِمَةُ الثّانِيَةُ (اصطَفاكا) فِي البَيتِ الأَخِيرِ :

حَيِـــيٌّ مِـــن إِلَهِـــي أَن يَرانِـــي وَقَـــد فارَقـــتُ دارَكَ وَاصـــطَفاكا

فَقَد رَواها الواحِدِيُّ وَتَبِعَهُ الأَكثَرِيَّةُ (اصطَفاكا) بِفَتحِ الطّاءِ [٣] ، فَتَكُونُ فِعلاً ماضِيًا ، أَمّا ابنُ جِنِّيّ فَقَد رَواها بِكَسرِ الطّاءِ [٤] ، وَتَبِعَهُ صاحِبُ التِّبيانِ [٥] ، وَقَد عَلَّقَ الواحِدِيُّ عَلَى ما ذَهَبَ إِلَيهِ ابنُ جِنِّيّ بِقَولِهِ : « رَوَى ابنُ جِنِّيّ : وَاصطِفاكَ -بِكَسرِ الطّاءِ- ، قالَ : الاصطِفاءُ مَمدُودٌ فَقَصَرَهُ ، وَاحتَجَّ عَلَيهِ بِأَحَدَ عَشَرَ بَيتًا ، كُلُّهُ مُستَغنًى عَنهُ ؛ لِأَنَّ قَصرَ الممدُودِ فِي الشِّعرِ أَشهَرُ مِن أَن يُحتاجَ فِيهِ إِلَى ذِكرِ الشَّواهِدِ ، وَأَنكَرَ ابنُ فُورَّجَةَ هَذِهِ الرِّوايَةَ [٦] ، وَرَواهُ مَفتُوحَ الطّاءِ عَلَى الفِعلِ وَقالَ : لِمَ يَستَحيِي مِنَ اللهِ تَعالَى إِذا فارَقَ دارَهُ وَاختِيارَهُ إِيّاهُ -أَعنِي اختِيارَ الممدُوحِ لِلمُتَنَبِّي- ؟ بَل لا وَجهَ لِحَيائِهِ فِي فِعلِهِ ذاكَ ؛ إِذ لَيسَ كُلُّ مَن فارَقَهُ وَزَهِدَ فِي اختِيارِهِ إِيّاهُ ارتَكَبَ حُوبًا ، وَإِنّما

(١) شرح الواحدي ٨٠٠ .

(٢) ينظر : الفسر الصغير ١٠١ ، وقشر الفسر (المانع) ٢٢٢ -بضبط المحقق في الكتابَين- ، أما الدكتور / رجب في القشر فقد ضبطها بالفتح على رواية الأكثرية ، ينظر : قشر الفسر (رجب) ٢٧٠ .

(٣) ينظر : معجز أحمد ٤/ ٤٢٤ ، وشرح الواحدي ٨٠٦ ، والصفوة ٢/ ٥٦٠ ، واللامع العزيزي (المولوي) ٢/ ٨٦٥ ، واللامع العزيزي (الفلاح) ١/ ٨٦٠ .

(٤) ينظر : الفسر ٢/ ٦٥٥ .

(٥) ينظر : التبيان ٢/ ٤٠٥ .

(٦) ينظر : الفتح على أبي الفتح ٢٠١ .

يَستَحيِي مِنَ اللهِ تَعالى إِذا فارَقَ دارَ الممدُوحِ وَاللهُ تَعالَى قَدِ اصطَفاهُ وَاختارَهُ عَلَى خَلقِهِ » [1] ، وَلِأَبِي العَلاءِ تَعلِيقٌ لَطِيفٌ عَلَى رِوايَةِ ابنِ جِنِّيّ بِقَولِهِ : « وَالأَشبَهُ بِأَبِي الطَّيِّبِ أَن يَكُونَ قالَ : وَاصطَفاكَ -وَهُوَ يُرِيدُ فِعلًا ماضِيًا- كَأَنَّهُ قالَ : وَقَد فارَقتُ دارَكَ وَقَدِ اصطَفاكَ اللهُ سُبحانَهُ » [2] .

٢/ ١-وَرَدَ فِي القَصِيدَةُ اسمُ فِعلٍ واحِدٍ لِلأَمرِ ، وَهُوَ فِي البَيتِ السّابِعَ عَشَرَ :

إِذا التَّودِيـــعُ أَعـــرَضَ قـــالَ قَلبِـــي ... عَلَيـــكَ الصَّـــمتَ لا صـــاحَبتَ فاكـــا

وَجاءَ بِهِ المتَنَبّي مُؤَدِّيًا لِخَفِيِّ مَعنًى أَرادَهُ ، إِذ لَو سَلَكَ بِهِ هُنا مَسلَكَ غَيرِهِ مِنَ الأَفعالِ الصَّرِيحَةِ لَما بَلَغَ بِالمعنَى دَقِيقَ مُرادِهِ ؛ ذاكَ أَنَّهُ قَصَدَ مِنهُ كَشفَ جانِبٍ مِن حِكايَةِ حالِ القَلبِ المبِينَةِ لِلانفِعالِ المباشِرِ عِندَ ظُهُورِ بَوادِرِ التَّودِيعِ .

٣/ ١-وَقَد كانَ لِلفِعلِ التّامِّ الحَظُّ الأَوفَرُ بِالاستِخدامِ فِي هَذِهِ القَصِيدَةِ ، وَلَم يَأتِ مِنَ النّاقِصِ إِلّا فِعلانِ فِي ثَمانِيَةِ مَواضِعَ ؛ جاءَت (كانَ) فِي سَبعَةِ مَواضِعَ مِنها ، سِتَّةٌ بِلَفظِ الماضِي فِي أَربَعَةِ أَبياتٍ ، هِيَ :

وَآمَنّـــا فِـــداءَكَ كُـــلَّ نَفـــسٍ ... وَلَـــو كانَـــت لِمَملَكَـــةٍ مِلاكـــا

فَلَـــو كانَـــت قُلُـــوبُهُمُ صَـــدِيقًا ... لَقَـــد كانَـــت خَلائِقُهُـــم عِـــداكا

إِذا عاصَـــيتُها كانَـــت شِـــدادًا ... وَإِن طاوَعتُهـــا كانَـــت رِكاكـــا

وَذاكَ النَّشـــرُ عِرضُـــكَ كـــانَ مِســـكًا ... وَهَـــذا الشِّـــعرُ فِهـــرِي وَالمـــداكا

وَمَرَّةً واحِدَةً بِلَفظِ الأَمرِ فِي قَولِهِ :

(١) شرح الواحدي ٨٠٦-٨٠٧ .

(٢) اللامع العزيزي (المولوي) ٢/ ٨٦٦ ، (الفلاح) ١/ ٨٦٠ .

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية

وَأَيًّـــا شِـــئتِ يـــا طُرُقِـــي فَكُـــونِي أَذاةً أَو نَجـــــــاةً أَو هَلاكـــــــا

وَأَمّا الفِعلُ النّاقِصُ الآخَرُ فَهُوَ (لَيسَ) ، وَلَم يَرِد إِلّا مَرَّةً واحِدَةً فِي قَولِهِ :

وَكَـــم طَـــرِبِ المســـامِعِ لَـــيسَ يَـــدرِي أَيعجَـــبُ مِـــن ثَنـــائِي أَم عُلاكـــا

وَلَعَلَّ فِي الاستِخدامِ الكَثِيرِ لِلفِعلِ التّامِّ إِيحاءً بِتَمامِ مُقامِهِ فِي الدُّنيا وَعَزمِهِ عَلَى الرَّحِيلِ عَنها ، وَلِذا لَم يَأتِ مِنَ النّاقِصِ إِلّا بِالقَلِيلِ جِدًّا ، وَغَلَبَ عَلَيهِ المضِيُّ إِشارَةً إِلَى الفَواتِ .

٤/ ١ -وَأَمّا مِن حَيثُ تَقسِيمُ الأَفعالِ حَسَبَ الأَزمِنَةِ النَّحوِيَّةِ فَقَد كانَ الماضِي أَكثَرَها وُرُودًا ؛ إِذ جاءَ فِي **ستَّةٍ وَخَمسِين فِعلاً** ، وَأَمّا **المضارِعُ** فَفِي **خَمسَةٍ وَأَربَعِينَ فِعلاً** ، وَأَقَلُّها **الأمرُ** فِي **ثَلاثَةِ أَفعالٍ** فَحَسبُ ، وَبَيانُها كالآتِي :

البيت	الفعل الماضي	الفعل المضارع	فعل الأمر
١	فَداكا	يُقَصِّرُ	
٢	قُلنا / دَعَونا / قَلاكا	يُساوِي	
٣	آمَنّا / كانَت		
٤	نَثَرَ	يَظَنُّ / يَنصِبُ	
٥	بَلَغَ / بَلَغَت		
٦	كانَت / كانَت		
٧	أَبصَرتَ		
٨	خَتَمتَ	أَروحُ / يَحُلّ	
٩	حَمَّلتَنِي	أُطِيقُ	
١٠		أُحاذِرُ / يَشُقَّ / تَمشِي	

البيت	الفعل الماضي			الفعل المضارع		فعل الأمر
١١				يَجعَلُهُ	يُعِينُ	
١٢	استَطَعتُ	خَفَضتُ		أُبصِر	أَراكا	
١٣	كَفانِي	كَفاكا				
١٤				تَترُكُنِي	فَتَقطَعَ	
١٥	سِرنا	غَدا		أَرَى		
١٦	ضُرِبتُ	أَحاكا				
١٧	أَعرَضَ	قالَ	صاحَبتَ			
١٨	تَمَنَّى	قُلتُ				
١٩	استَشفَيتَ	أَعَلَّكَ	شَفاكا			
٢٠	أَطَلتُ			أَستُرُ	أُخفِي	
٢١	عاصَيتُها	كانَت	طاوَعتُها	كانَت		
٢٢				يَقُولُ		
٢٣	أَنَخنا			يُقَبِّلُ		
٢٤	عَبِقَ	صاكا		يُحَرِّمُ	يَمَسَّ	
٢٥				يَمنَعُ	يَمنَحُهُ	
٢٦	حَدَّثَ			يُحَدِّثُ		
٢٧	أَنضَى			يُعرِقنَ		
٢٨	انتَبَهَت	تَوَهَّمَهُ		أَرضَى		
٢٩				يُصغِي	أَحكِي	يُتَيِّمُهُ
٣٠	لَيسَ			يَدرِي	يَعجَبُ	

البيت	الفعل الماضي				الفعل المضارع		فعل الأمر
٣١	كانَ						
٣٢					تَحمَدهُما	يُسمَ	احمَد
٣٣					يَلقَى		
٣٤					يَدَّعِي		
٣٥	اشتبَهَت	تبَيَّنَ	بَكَى	تَباكَى			
٣٦	أَذَمَّت						
٣٧							زُل
٣٨	شِئتِ						كُونِي
٣٩	سِرنا	رَأَونِي			يَرَوُا		
٤٠					يُشَرِّدُ		
٤١					أَلبَسُ	يَذعَرُ	
٤٢	افتَرَقنا	ما خَلاكا			أَعتاضُ		
٤٣					يَعُودُ	يَجِد	
٤٤	فارَقتُ	اصطَفاكا			يَرانِي		

وَالماضِي يُفِيدُ تَحَقُّقَ وُقُوعِ المقصُودِ فِي السِّياقاتِ الوارِدِ فِيها ، إِمعانًا مِنَ المتَنَبّي فِي تَزكِيَةِ السِّياقِ وِفقَ مَشِيئَتِهِ الفَنِّيَّةِ ، كَما فِي البَيتِ الثّانِي -عَلَى سَبِيلِ التَّمثِيلِ- :

فَلَـو قُلنـا فِـدًى لَـكَ مَـن يُسـاوِي دَعَونـا بِالبَقـاءِ لِمَـن قَلاكـا

فَفِيهِ ثَلاثَةُ أَفعالٍ ماضِيَةٍ وَفِعلٌ مُضارِعٌ واحِدٌ ، جاءَ أَوَّلُ الأَفعالِ الماضِيَةِ وَثانِيها (قُلنا ، دَعَونا) بَعدَ (لَو) مُتَعَلِّقَينِ بِها ، فَامتَنَعَ الدُّعاءُ بِالبَقاءِ لِمُبغِضِ مَمدُوحِهِ لِامتِناعِ قَولِهِ : فِدًى لَهُ مَن يُساوِيهِ

وَلا أَحَدَ يُساوِيهِ فِي نَظَرِهِ ، وَإِفادَةُ الماضِي هُنا ظاهِرَةٌ فِي تَأكِيدِ المدحِ ، فَلا مَجالَ لِلتَّرَدُّدِ أَوِ الشَّكِّ الَّذِي قَد يَرِدُ تَوَقُّعُهُ لَو جاءَ بِصِيغَةٍ أُخرَى غَيرِ الفِعلِ الماضِي . وَأَمّا الفِعلُ الثّالِثُ فَهُو (قَلاكا) وَيَعكِسُ سُنَّةَ الحَياةِ فِي التَّنافُسِ بَينَ النّاسِ ، وَبِخاصَّةٍ عِندَ ذَوِي الشَّأنِ المتَشابِهِ ، مَعَ تَضمِينِ مَعنَى كَثرَةِ حُسّادِ عَضُدِ الدَّولَةِ الَّذِي نالَ شَطرًا مِن وِلايَتِهِ بِالحَربِ وَالبَأسِ بَعدَ ذَلِكَ [1] .

وَفِي أَثناءِ الكَلامِ جاءَ الفِعلُ المضارِعُ (يُساوِي) قابِلاً لِنَفيِ المعنَى الممكِنِ وُرُودُهُ فِي النَّفسِ ؛ إِذ لَو جاءَ بِصِيغَةِ الماضِي لَكانَ فِيهِ شِبهُ إِثباتٍ لِما نَفاهُ السِّياقُ مِن وُجُودِ المساوِي .

وَمِنَ المضارِعِ ما لا يَحتَمِلُ غَيرَ الاستِقبالِ ، كَالمسبُوقِ بِلا النّاهِيَةِ ، وَذَلِكَ فِي قَولِهِ :

فَـــلا تَحمَـــدهُما وَاحمَـــد هُمامًـــا ... إِذا لَـــم يُســـمَ حامِـــدُهُ عَناكـــا

إِذِ النَّهيُ يَقتَضِي الامتِناعَ عَنِ الفِعلِ فِي المستَقبَلِ [2] ، وَأَمّا المسبُوقُ بِلَم فَيَتَحَوَّلُ مَعناهُ لِلماضِي [3] ، وَبِذا يُشَكِّلُ الفِعلان فِي البَيتِ دائِرَةً زَمانِيَّةً مُغلَقَةً يَتَعَلَّقُ مُستَقبَلُها بِماضِيها فِي صُورَةِ المعنَى المستَمِرِّ .

وَأَمّا فِعلُ الأَمرِ فَهُوَ أَقَلُّ الأَفعالِ وُرُودًا -كَما ذَكَرتُ- ؛ وَمِن أَمثِلَتِهِ قَولُهُ :

فَـــزُل يـــا بُعـــدُ عَـــن أَيـــدِي رِكـــابٍ ... لَهـــا وَقـــعُ الأَســـنَّةِ فِـــي حَشـــاكا

وَلَم يَأتِ فِي هَذا البَيتِ فِعلٌ غَيرُ فِعلِ الأَمرِ هَذا (زُل) ، وَتَصَدَّرَ السِّياقَ مُدِلاًّ بِما يَحمِلُهُ مِن نَمَطٍ خاصٍّ فِي تَكوِينِ المعنَى ؛ حَيثُ استَخدَمَ المتَنَبّي أُسلُوبَ الاستِعارَةِ فِي مُخاطَبَتِهِ لِلبُعدِ بِفِعلِ

(١) للاستزادة حول خبره ينظر : الكامل في التاريخ ٧ / ٢٧ ، البداية والنهاية ١١/ ٣١٩ .

(٢) ينظر : مغني اللبيب ٣٢٢ .

(٣) ينظر : شرح المفصّل ٤/ ٢٦٣ .

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية

الأَمرِ مِمّا يَعنِي تَمَكُّنَهُ فِي المحسُوساتِ ، وَهُوَ ما يُناسِبُ سِياقَ حالِهِ ، وَاقتَضَى ذَلِكَ الأُسلُوبُ التَّشخِيصَ « وَكَأَنَّ البُعدَ لَهُ أُذُنٌ يَسمَعُ بِها » [١] ، وَتِلكَ مِن مَيزاتِ الاستِعارَةِ ، كَما قالَ الإِمامُ عَبدُ القاهِرِ الجُرجانِيُّ : « إِن شِئتَ أَرتكَ المعانِي اللَّطِيفَةَ الَّتِي هِيَ مِن خَبايا العَقلِ كَأَنَّها قَد جُسِّمَت حَتَّى رَأَتها العُيُونُ » [٢] .

وَإِلَى كُلِّ ما أَسلَفتُ ذِكرَهُ حَولَ أَنواعِ الأَفعالِ الَّتِي جاءَ بِها المتَنَبّي فِي قَصيدَتِهِ فثَمَّةَ فِعلٌ يَكشِفُ التَّصَرُّفَ الكامِنَ فِي طَبِيعَةِ المتَنَبّي بِاللُّغَةِ ، وَهُوَ تَصَرُّفٌ يُبِينُ تَمَكُّنًا وَاستِقرارًا فِي التَّناوُلِ وَالأَداءِ، وَالفِعلُ هُوَ (يُعرِقنَ) فِي البَيتِ السّابِعِ وَالعِشرِينَ :

وَأَنَّ البُـــــدنَ لا يُعـــــرِقنَ إِلّا ... وَقَـــد أَنضَـــى العُـــذافِرَةَ اللِّكاكـــا

وَلَعلَّهُ اعتاضَ بِهَذِهِ الكَلِمَةِ عَنِ التَّطوِيلِ ، وَأَرادَ اختِصارَ المسافَةِ المكانِيَّةِ وَالزَّمانِيَّةِ فِي نَفسِهِ بَيانًا لِشَوقِهِ الَّذِي ألمحَ إِلَيهِ فِي الأَبياتِ قَبلَ هَذا البَيتِ :

وَكَـــم دُونَ الثَّوِيَّـــةِ مِـــن حَـــزِينٍ ... يَقُـــولُ لَـــهُ قُـــدُومِي ذا بِـــذاكا

وَمِـــن عَـــذبِ الرُّضـــابِ إِذا أَنَخنـــا ... يُقَبِّـــلُ رَحـــلَ تُـــروَكَ وَالوِراكـــا

يُحَـــرِّمُ أَن يَمَـــسَّ الطِّيـــبَ بَعـــدِي ... وَقَـــد عَبِـــقَ العَبِيـــرُ بِـــهِ وَصـــاكا

وَيَمنَـــعُ ثَغـــرَهُ مِـــن كُـــلِّ صَـــبٍّ ... وَيَمنَحُـــهُ البَشـــامَةَ وَالأَراكـــا

يُحَـــدِّثُ مُقلَتَيـــهِ النَّـــومُ عَنِّـــي ... فَلَيـــتَ النَّـــومَ حَـــدَّثَ عَـــن نَـــداكا

(١) إبراهيم البطشان ، كافيّة المتنبي الأخيرة وإشارات تنبؤٍ بالرحيل ٥٥٣ .

(٢) أسرار البلاغة ٤٣ .

٢-الأفعالُ المقدَّرةُ ، وفيها مسألةُ تقديرِ القائلِ :

فِي البَيتَينِ الثّامِنَ عَشَرَ وَالتّاسِعِ وَالعِشرِينَ :

وَلَـــولا أَنَّ أَكثَـــرَ مـــا تَمَنَّـــى ... مُعـــاوَدَةٌ لَقُلـــتُ وَلا مُناكـــا

وَلا إِلّا بِـــأَن يُصـــغِي وَأَحكِـــي ... فَلَيتَـــكَ لا يُتَيِّمُـــهُ هَواكـــا

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية

قالَ ابنُ الأَثِيرِ : « فَقَولُهُ (**وَلا مُناكا**) فِيهِ مَحذُوفٌ تَقدِيرُهُ : وَلا صاحَبتَ مُناكا ، وَكَذلِكَ قَولُهُ (**وَلا إِلّا بِأَن يُصغِي وَأَحكِي**) فَإِنَّ فِيهِ مَحذُوفًا تَقدِيرُهُ : وَلا أَرضَى إِلّا بِأَن يُصغِي وَأَحكِي » [١] .

وَمِثلُ ذَلِكَ فِي البَيتِ الحادِي وَالثَّلاثِينَ :

وَذاكَ النَّشـــرُ عِرضُـــكَ كـــانَ مِســـكًا ... وَهَـــذا الشِّـــعرُ فِهـــرِي وَالمـــداكا

فَالتَّقدِيرُ : كانَ فِهرِي وَالمداكا ؛ فَلَمّا نَصَبَ (المداكا) تَبَيَّنَ أَنَّهُ أَضمَرَ (كانَ) هُنا .

وَكَذلِكَ البَيتُ الأَخِيرُ :

حَيِـــيٌّ مِـــن إِلَهِـــي أَن يَرانِـــي ... وَقَـــد فارَقـــتُ دارَكَ وَاصـــطَفاكا

فَقَد رَواهُ أَبُو العَلاءِ (حَيِيًّا) بِالنَّصبِ عَلَى الحالِ ؛ « أَي : أَرجِعُ وَأَنا أَستَحِي مِن إِلَهِي أَن يَرانِي فارَقتُ دارَكَ وَأَنتَ صَفوَتُهُ » [٢] .

وَأَمّا تَقدِيرُ القائِلِ فَمَسأَلَةٌ لَطِيفَةٌ ، تَنَبَّهَ لَها بَعضُ العُلَماءِ ، وَهِيَ مِمّا يَتَعَلَّقُ بِالفِعلِ وَتَأثِيرِهِ فِي

---

(١) المثل السائر ٢/ ٢٨٥ .

(٢) معجز أحمد ٤/ ٤٢٤ .

المعنَى، وَمِثالُ ذَلِكَ البَيتُ التّاسِعَ عَشَرَ :

قَـــدِ استَشـــفَيتَ مِـــن داءٍ بِـــداءٍ وَأَقتَـــلُ مـــا أَعَلَّـــكَ مـــا شَـــفاكا

فَقَد اختَلَفَ الشُّرّاحُ حَولَ القائِلِ (**قَدِ استَشفَيتَ**) ، فِئَةٌ يَرَونَ أَنَّهُ الشّاعِرُ ؛ قالَ ابنُ جِنِّيّ : « أَي أَضمَرتَ يا قَلبُ شَوقًا إِلَى أَهلِكَ » (١) ، وَمِثلُهُ قالَ الواحِدِيُّ : « يَقُولُ لِقَلبِهِ استَشفَيتَ » (٢) ، أَمّا أَبُو العَلاءِ فَيَرَى أَنَّ القائِلَ قَلبُهُ ؛ يَقُولُ : « قالَ قَلبِي : تَداوَيتَ مِن شَوقِكَ إِلَى أَهلِكَ بِفِراقِ عَضُدِ الدَّولَةِ » (٣) ، وَقالَ ابنُ فُورَّجَةَ : « هَذا قَولُ قَلبِهِ لَهُ » (٤) ، فَقَدِ اختَلَفُوا حَولَ القائِلِ بَينَ المتَنَبّي وَقَلبِهِ ، فَأَيُّهُما كانَ القائِلَ فَهُوَ الأَرجَحُ فِي كِفَّةِ التَّرَوِّي وَالتَّعَقُّلِ ، وَالآخَرُ حُكمُهُ حُكمُ المضطَرِّ إِلَى فِعلِهِ لا يَدرِي ما يَفعَلُ ، وَهَذا فِيهِ جانِبُ الحِوارِ الذّاتِيِّ بَينَ الشّاعِرِ وَقَلبِهِ ، مِمّا يُؤَكِّدُ الاضطِرابَ الَّذِي انتابَ المتَنَبّي عِندَ الرَّحِيلِ .

٣-أَثَرُ الصِّياغَةِ فِي تَشَكُّلِ المعنَى :

وَفِيهِ تَظهَرُ دِقَّةُ المتَنَبّي فِي استِخدامِ بَعضِ الصِّيَغِ دُونَ أُخرَى مِنَ المادَّةِ نَفسِها ، وَذَلِكَ فِي مِثلِ استِخدامِهِ صِيغَةَ المفاعَلَةِ (عاصَيتُها ، طاوَعتُها) فِي البَيتِ الحادِي وَالعِشرِينَ:

إِذا عاصَـــيتُها كانَـــت شِـــدادًا وَإِن طاوَعتُهـــا كانَـــت رِكاكـــا

فَصِيغَةُ المفاعَلَةِ تَأتِي لِعِدَّةِ مَعانٍ مِنها الاشتِراكُ « لِأَنَّ بابَ المفاعَلَةِ يَكُونُ مِن اثنَينِ كُلُّ واحِدٍ مِنهُما

(١) الفسر ٢/ ٦٤٣ .

(٢) شرح الواحدي ٨٠٢ .

(٣) معجز أحمد ٤/ ٤١٦ ، ونحوه في اللامع العزيزي (المولوي) ٢/ ٨٦٢ ، (الفلاح) ١/ ٨٥٦ .

(٤) الفتح على أبي الفتح ١٩٨ .

يَفعَلُ بِصاحِبِهِ مِثلَ ما يَفعَلُ بِهِ صاحِبُهُ » [١] ، وَالمتَنَبّي بِاستِخدامِهِ هَذِهِ الصِّيغَةَ يُعطِي الممدُوحَ ما يُحِبُّ أَن يَسمَعَهُ مِنهُ ؛ فَلَيسَ مُرادُهُ -وَاللهُ أَعلَمُ- أَن يَقُولَ لَهُ أَنِّي إِذا عَصَيتُ هَذِهِ الهُمُومَ اشتَدَّت عَلَيَّ ، وَإِن أَطَعتُها سَهُلَت [٢] ، بَل لَعَلَّهُ أَرادَ بَيانَ مُعاناتِهِ فِي مُحاوَلاتِ العِصيانِ وَالطّاعَةِ ؛ فَالمفاعَلَةُ تَكشِفُ جانِبًا مِنَ المشادَّةِ النَّفسِيَّةِ المعنَوِيَّةِ بَينَهُ وَبَينَ الهُمُومِ ، وَهَذا البَيانُ لا يَتَأَتّى بِمَجِيءِ الفِعلِ عَلَى صِيغَةِ (فَعَل) .

وَنحوُهُ ما ذَكَرَ ابنُ سِيدَه فِي شَرحِ المشكِلِ حِينَ عَلَّقَ عَلَى البَيتِ الخامِسِ وَالثَّلاثِينَ :

إِذا اشتَبَهَت دُمُوعٌ فِي خُدُودٍ ... تَبَيَّنَ مَن بَكَى مِمَّن تَباكى

قالَ : « بَكَى : كِنايَةٌ عَنِ الطَّبِيعِيِّ ، وَتَباكَى : كِنايَةٌ عَنِ العَرَضِيِّ ؛ لِأَنَّ التَّفاعُلَ قَد يَأتِي لِغَرَضٍ ، لإِظهارِ خِلافِ ما الأَمرُ بِهِ فِي الحَقِيقَةِ ، أَنشَدَ سِيبَوَيهِ :

إِذا تَخازَرتُ وَما بِي مِن خَزَرْ

فَقَولُهُ (وَما بِي مِن خَزَرْ) دَلِيلٌ عَلَى ذَلِكَ . أَي : إِذا اشتَبَهَت الدُّمُوعُ فِي الخُدُودِ بِما هِيَ عَلَيهِ مِنَ الهَمَلانِ وَسُرعَةِ الجَرَيانِ لَم يَكُ هُنالِكَ بُدٌّ مِن فَصلٍ يُمَيِّزُ بَينَ العَرَضِيِّ وَالطَّبِيعِيِّ » [٣] .

وَمِن استِعمالاتِهِ الَّتِي عَدَلَ بِها عَنِ الصِّيغَةِ الأُولَى بِناؤُهُ الفِعلَ لِلمَجهُولِ فِي البَيتِ السّادِسَ عَشَرَ:

وَهَذا الشَّوقُ قَبلَ البَينِ سَيفٌ ... وَها أَنا ما ضُرِبتُ وَقَد أَحاكا

(١) شرح كتاب سيبويه للسيرافي ٢/ ٢٣٦ . ويصلح أن تأتي هنا لمعنى التكثير ، وهو من المعاني التي ترد لها صيغة المفاعلة ، ينظر : شرح ابن عقيل ٢/ ٥٥٤ .

(٢) ينظر : شرح الواحدي ٨٠٣ .

(٣) شرح المشكل ٣٣٦ .

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية

فَظاهِرُ البَيتِ حَدِيثُهُ عَن شَوقِهِ لِلمَمدُوحِ وَأَثَرِ الشَّوقِ فِيهِ قَبلَ رَحِيلِهِ عَنهُ ، وَلَكِن ثَمَّةَ مَلمَحٌ آخَرُ ، وَهُوَ بِناؤُهُ الفِعلَ (ضُرِب) لِلمَجهُولِ ، وَكَأَنَّ فِيهِ إِلماحًا إِلَى مَصِيرِهِ الَّذِي يَنتَظِرُهُ وَهُوَ القَتلُ وَالهَلاكُ -كَما ذَكَرَ فِي البَيتِ الثّامِنِ وَالثَّلاثِينَ- ، فَلَيسَ الضَّربُ ضَربَ سَيفِ البَينِ ، بَل هُوَ ضَربُ السَّيفِ الَّذِي سَوفَ يُقتَلُ بِهِ بَعدَ رَحِيلِهِ عَن عَضُدِ الدَّولَةِ ، وَهَذا يُؤَكِّدُ تَوَقُّعَهُ وَتَطَيُّرَهُ عَلَى نَفسِهِ ، فَظَهَرَ أَثَرُ ذَلِكَ السَّيفِ قَبلَ ضَربِهِ لِشِدَّةِ تَوَقُّعِهِ وَإِيمانِهِ بِتَوَقُّعِهِ .

٤-كَلِماتٌ لَها عَلاقَةٌ بِالزَّمانِ :

إِلَى جانِبِ هَذا الكَمِّ الهائِلِ مِنَ الأَفعالِ الَّتِي استَخدَمَها المتَنَبّي فِي هَذِهِ القَصِيدَةِ ، وَكانَ لَها واضِحُ الأَثَرِ فِي حُضُورِ الزَّمانِ وَتَنَوُّعِ دِلالَتِهِ ؛ فَقَد وُجِدَت فِي القَصِيدَةِ كَلِماتٌ غَيرَ الأَفعالِ (أَسماءٌ) لَها ارتِباطٌ بِالزَّمانِ ، وَشَكَّلَت مَعَ المجاوَرَةِ الزَّمانِيَّةِ الصّادِرَةِ عَنِ الأَفعالِ بُعدًا دِلالِيًّا مُهِمًّا ، وَمِن تِلكَ الكَلِماتِ :

أ/ ٤-كَلِمَةُ (البَقاءِ) فِي البَيتِ الثّانِي :

فَلَـو قُلنـا فِـدًى لَـكَ مَـن يُسـاوِي ... دَعَونـا بِالبَقـاءِ لِمَـن قَلاكـا

« وَالبَقاءُ ضِدُّ الفَناءِ »[١] ، وَهِيَ كَلِمَةٌ تُبِينُ قِيامَ الزَّمانِ الأَبَدِيِّ وَاستِمرارَهُ ، وَقَد صَنَعَت مَعَ كَلِماتِ البَيتِ -الأَفعالِ خاصَّةً - مَعنًى لَطِيفًا ، إِذ يَرَى أَنَّ دُعاءَهُ بِفِداءِ المساوِي لِلمَمدُوحِ يَعنِي (بَقاءَ) الأَعداءِ ؛ لِأَنَّهُم دُونَهُ وَلا يُساوُونَهُ ، فَالفِعلُ (يُساوِي) جاءَ بِصِيغَةِ المضارِعِ الدّالِّ عَلَى الاستِمرارِ، وَناسَبَهُ مَجِيءُ كَلِمَةِ (البَقاءِ) الدّالَّةِ عَلَى استِمرارِ حَياةِ الأَعداءِ ، وَكُلُّ ذَلِكَ مُرتَبِطٌ بِنَوعِ الدُّعاءِ ؛ فَامتَنَعَ كُلُّ ذَلِكَ لِامتِناعِهِ عَنِ الدُّعاءِ بِالفِداءِ مِنَ المساوِي .

(١) لسان العرب (بقي) .

ب/ ٤-كَلِمَةُ (رَحِيل) فِي البَيتِ الحادِي عَشَرَ :

لَعَـــلَّ اللهَ يَجعَلُـــــهُ رَحِـــــيلاً يُعِـــينُ عَلَـــى الإِقامَـــةِ فِـــي ذَراكـــا

« وَالرَّحِيلُ اسمُ ارتِحالِ القَومِ لِلمَسِيرِ » (١) ، وَهُوَ بِمَعناهُ هَذا لا يُفِيدُ دِلالَةً زَمانِيَّةً مُباشِرَةً ، وَإِنَّما لَهُ ارتِباطٌ بِالزَّمانِ مِن حَيثُ كَونُهُ يَعنِي انقِضاءَ وَقتٍ مُعَيَّنٍ اختِيارًا ، فَالرَّحِيلُ هُنا كانَ اختِيارَ المتَنَبّي بَل وَرَغبَتَهُ ، وَإِن كانَ أَظهَرَ لِعَضُدِ الدَّولَةِ حِرصَهُ عَلَى البَقاءِ وَأَمَّلَهُ بِالعَودِ ، وَلَو كانَ الأَمرُ غَيرَ ذَلِكَ لاختارَ كَلِمَةً أُخرَى كَالسَّفَرِ وَالظَّعنِ وَنَحوِهِما ، وَلَكِنَّهُ أَرادَ الإِلماحَ الخَفِيَّ إِلَى رَغبَةٍ كامِنَةٍ بِعَدَمِ الرُّجُوعِ ، وَهُوَ بِذَلِكَ يَختارُ إِنهاءَ زَمانٍ كانَت لَهُ مَيزاتٌ وَخَصائِصُ مُذهِلَةٌ ، وَلَكِنَّها لَم تَنَل مِن اهتِمامِهِ غَيرَ حَدِّ التَّعَجُّبِ ، وَهُوَ ما ذَكَرَهُ فِي قَصِيدَةٍ أُخرَى سَبَقَت هَذِهِ الكافِيَّةَ ، وَمَدَح بِها عَضُدَ الدَّولَةِ نَفسَهُ ، وَجَعَلَ المكانَ فِيها مُشبِهًا الزَّمانَ :

مَغـــانِي الشِّـــعبِ طِيبًـــا فِـــي المغـــانِي بِمَنزِلَـــــةِ الرَّبِيـــــعِ مِـــــنَ الزَّمـــــانِ
وَلَكِـــــنَّ الفَتَـــــى العَرَبِـــــيَّ فِيهـــــا غَرِيـــبُ الوَجـــهِ وَاليَـــدِ وَاللِّســـانِ (٢)

وَهِيَ فَلسَفَةٌ أَرادَ المتَنَبّي رَبطَ أَجزائِها الخَفِيَّةِ فِي القَصِيدَةِ الكافِيَّةِ .

ج/ ٤-كَلِمَةُ (قَبل) فِي البَيتِ السّادِسَ عَشَرَ :

وَهَـــذا الشَّـــوقُ قَبـــلَ البَـــينِ سَـــيفٌ وَهـــا أَنـــا مـــا ضُـــرِبتُ وَقَـــد أَحاكـــا

وَهَذا البَيتُ يُؤَكِّدُ المعنَى الوارِدَ فِي البَيتِ الَّذِي سَبَقَهُ :

أَرَى أَســـفِي وَمـــا سِـــرنا شَـــدِيدًا فَكَيـــفَ إِذا غَـــدا السَّـــيرُ ابتِراكـــا

(١) لسان العرب (رحل) .

(٢) ديوانه بشرح الواحدي ٧٦٦ .

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية

وَجاءَت (قَبلَ) فِي البَيتِ مُختَصِرَةً كُلَّ مَعانِي الإحساسِ بِالفَقدِ قَبلَ أَن يَحِينَ ، وَهُوَ مَعنًى طَرِيفٌ تَناوَلَهُ غَيرُ واحِدٍ مِنَ الشُّعَراءِ بِطُرُقٍ مُختَلِفَةٍ ، كَقَولِ كَعبِ بنِ زُهَيرٍ رضي الله عنه :

هَـل حَبـلُ رَملَـةَ قَبـلَ البَـينِ مَبتُـورُ أَم أَنـتَ بِـالحِلمِ بَعـدَ الجَهـلِ مَعـذُورُ (١)

وَمِنهُ قَولُ أَشجَعَ السُّلَمِيِّ :

فَهـا أَنـتَ تَبكِـي وَهُـم جِيـرَةٌ فَكَيـفَ تَكُـونُ إِذا وَدَّعُـوا (٢)

غَيرَ أَنَّ المتَنَبّي قَصَدَ المعنَى مِن جِهَةٍ تَتَّسِمُ بِالحِدَّةِ الَّتِي تَتَناسَبُ مَعَ طَبِيعَتِهِ المفعَمَةِ بِالشَّجاعَةِ ؛ فَلَم يَأتِ بِلَفظَةِ (الحَبلِ) وَنَحوِهِ ، بَل جاءَ بِالسَّيفِ وَضَربَتِهِ وَأَثَرِها (قَبلَ) الرَّحِيلِ ، وَرُبَّما عَكَسَ بِذَلِكَ حِدَّةَ شُعُورِهِ المتَباينِ تُجاهَ رَحِيلِهِ .

د/ ٤ - كَلِمَةُ (غَدًا) فِي البَيتِ الثّالِثِ وَالثَّلاثِينَ :

أَغَـرَّ لَـهُ شَـمائِلُ مِـن أَبِيـهِ غَـدًا يَلقَـى بَنُـوكَ بِهـا أَباكـا

وَاستِخدامُهُ لِلَفظِ الغَدِ فِي سِياقِ مَدحِ الأَبناءِ - المقتَضِي مَدحَ عَضُدِ الدَّولَةِ - لِمُشابَهَتِهِم أَباهُ إِشارَةٌ إِلَى قُربِ حُدُوثِ ذَلِكَ (٣) ؛ فَالغَدُ هُوَ اليَومُ الَّذِي يَأتِي بَعدَ يَومِكَ ، وَقَد يُرادُ بِهِ القَرِيبُ مِنَ الزَّمانِ، وَفِي القُرآنِ الكَرِيمِ : ﴿ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴾ (٤) .

وَفِيهِ أَنَّ وَقتَ إِدراكِهِم شَبَهَ أَبِيهِ قَرِيبٌ ، ثُمَّ يَعقُبُهُ إِدراكُهُم شَبَهَهُ ، وَفِي هَذا مَدحٌ لَهُ بِالفَوقِيَّةِ عَلَى

(١) ديوانه ٣٩ .

(٢) ديوانه ٥٣ ، وقد ذكر البيت شُرّاح ديوان المتنبي .

(٣) ينظر : اللامع العزيزي (المولوي) ٢/ ٨٦٤ ، (الفلاح) ١/ ٨٥٩ .

(٤) ينظر : لسان العرب (غدا) ، والآية ٢٦ من سورة القمر .

أَصلَهِ وَفَرعِهِ .

هـ/ ٤ -كَلِمَةُ (هلاكا) فِي البَيتِ الثّامِنِ وَالثَّلاثِينَ :

وَأيَّــا شِــئتِ يــا طُرُقِــي فَكُــونِي أَذاةً أَو نَجــــــاةً أَو هَلاكــــــا

وَالهَلاكُ : الموتُ [١] ، وَيَعنِي هُنا تَوَقُّفَ الزَّمانِ وَالوَقتِ عَن الحَرَكَةِ ؛ لانتِهاءِ عُمُرِ الإنسانِ ، وَفِي البَيتِ ثَلاثَةُ خِياراتٍ مُختَلِفَةٍ ؛ فَالأَوَّلُ وَالثّانِي يُفِيدانِ حَرَكَةً تُصاحِبُ الزَّمانَ (أَذاةً أَو نَجاةً) ، وَالثّالِثُ (هَلاكا) يُفِيدُ مَعنَى تَوَقُّفِ الحَرَكَةِ وَانتِهاءَ زَمانِ الخِيارَينِ الأَوَّلِ وَالثّانِي ، وَالحَياةُ تَجرِي بِأَحَدِ الأَوَّلَينِ إِلَى الثّالِثِ ؛ إِمّا بِتَعَبٍ يَنتَهِي إِلَى هَلاكٍ ، أَو بِسَعادَةٍ تَؤُولُ وَصاحِبَها إِلَى الهَلاكِ ! وَعَلَى ذَلِكَ فَتَقسِيمُهُ لِلزَّمانِ بِحَرَكَتِهِ فِي هَذا البَيتِ عَمِيقُ الدِّلالَةِ ، وَإِنَّما أَرادَ بِذَلِكَ الأَخِيرَ « فَتَطَيَّرَ عَضُدُ الدَّولَةِ مِن ذَلِكَ ، وَما كانَ لَو لَم يَقُلهُ أَبُو الطَّيِّبِ لِيَدفَعَ ذَلِكَ عَنهُ القَدَرَ ، وَلَكِنَّهُ ما كانَ لِيُثبِتَهُ لَو أَحَسَّ بِقَلبِهِ الواعِي ما قَد وَصَلَ إِلَيهِ فِيهِ قَلبُهُ مِن طَرِيقٍ كَأَنَّهُ كُشِفَ » [٢] .

و/ ٤ -كَلِمَتا (تِشرِينَ ، السِّماكا) فِي البَيتِ التّاسِعِ وَالثَّلاثِينَ :

فَلَــو سِــرنا وَفِــي تِشــرِينَ خَمــسٌ رَأَونِــي قَبــلَ أَن يَــرَوُا السِّــماكا

فَالأُولَى (تِشرِينَ) دالَّةٌ عَلَى زَمَنٍ مُعَيَّنٍ ، وَهُوَ اسمُ شَهرٍ مِن شُهُورِ الخَرِيفِ بِالرُّومِيَّةِ ، وَهُما تِشرِينانِ [٣] ، وَالثّانِيَةُ (السِّماكا) ، وَهُما سِماكانِ : نَجمانِ نَيِّرانِ ، أَحَدُهُما السِّماكُ الأَعزَلُ وَالآخَرُ

(١) ينظر : لسان العرب (هلك) .

(٢) عبد الله الطيب ، المرشد إلى فهم أشعار العرب ٤/ ٧٩٦ .

(٣) ينظر : لسان العرب (تشر) .

السِّماكُ الرّامِحُ ، وَطُلُوعُ السِّماكِ الأعزَلِ مَعَ الفَجرِ يَكُونُ فِي تِشرِينَ الأَوَّلِ [١] .

وَارتِباطُ الكَلِمَتَينِ بِبَعضِهِما فِي البَيتِ مُرادُ المتَنَبّي لِلمُبالَغَةِ فِي تَصوِيرِ سُرعَةِ سَيرِهِ ، وَهُوَ فَرعٌ مِمّا تَضَمَّنَهُ البَيتُ قَبلَهُ (**وَأَيًّا شِئتِ يا طُرُقِي فَكُونِي ...**) ، فَهُوَ يَقصِدُ إِلَى أَنَّهُ لَو بَدَأَ مَسِيرَهُ بَعدَ بِدايَةِ تِشرِينَ بِخَمسِ لَيالٍ لَوَصَلَ الكُوفَةَ قَبلَ ظُهُورِ السِّماكِ ، « وَإِنَّما يَطلُعُ السِّماكُ فِي تِلكَ اللَّيلَةِ » [٢]، وَهَذا مُحالٌ عَقلاً ، لَكِنَّهُ مِن مُبالَغاتِ المتَنَبّي المعرُوفَةِ .

٥-الحَرَكَةُ فِي الزَّمَنِ :

قامَت هَذِهِ القَصِيدَةُ عَلَى مادَّةِ الرَّحِيلِ وَالوَداعِ ، وَهُما يُشَكِّلانِ عِندَ المتَنَبّي فِيها انتِهاءَ أَمَدِ بَقائِهِ فِي الحَياةِ وَوُصُولَهُ إِلَى آخِرِ مَراحِلِهِ فِيها ، وَقَد صَحِبَ هَذا المعنَى جُملَةٌ مِنَ الأَداءاتِ فِي القَصِيدَةِ حَوَّلَتها إِلَى رَواحِلَ تَسِيرُ بَل لا تَكُفُّ عَنِ السَّيرِ وَالحَرَكَةِ ، وَهَذا مِمّا أَكسَبَها السَّيرُورَةَ والذيوع وَتَفاعُلَ المتَلَقِّي عَبرَ الأَزمِنَةِ الطَّوِيلَةِ ، وَلَعَلَّها صَدَّقَت ما قالَهُ الشُّرّاحُ حَولَ تَطَيُّرِ المتَنَبّي عَلَى نَفسِهِ، « وَأَنَّها كانَت صَرخَةً صادِقَةً وَتَعبِيرًا غَيرَ مُباشِرٍ عَن إِحساسِ قائِلِها بِقُربِ مَصرَعِهِ » [٣] .

« وَتَتَجَلَّى مَلامِحُ الصِّراعِ مَعَ الزَّمَنِ عِندَ المتَنَبّي مِن خِلالِ الإِحساسِ بِحَرَكَةِ الزَّمَنِ وَتَحَوُّلاتِهِ المستَمِرَّةِ ، وَما يَترُكُهُ مِن تَأثِيرٍ عَلَى الذّاتِ » [٤] .

وَالحَرَكَةُ فِي هَذِهِ القَصِيدَةِ لَها مُثِيراتٌ كَثِيرَةٌ ، كَالأَفعالِ الَّتِي أَحصَيتُها فِي هَذا البَحثِ وَذَكَرتُ أَبرَزَ مَلامِحِ دِلالاتِها ، وَهِيَ إِمّا مُتَعَلِّقَةٌ بِمَعنَى البَيتِ الَّذِي تَرِدُ فِيهِ أَو بِعُمُومِ سِياقِ القَصِيدَةِ .

(١) ينظر : لسان العرب (سمك) .

(٢) الوساطة بين المتنبي وخصومه ٣٩٦ .

(٣) إبراهيم البطشان ، كافيّة المتنبي الأخيرة وإشارات تنبؤٍ بالرحيل ٥٦١ .

(٤) مفلح الحويطات ، شعرية الصراع ١٢٧ .

وَثَمَّةَ أَبياتٌ شَكَّلَت بِأَجزائِها المختَلِفَةِ حَرَكَةً زَمَنِيَّةً تَدُورُ حَولَ مَعنَى الرَّحِيلِ ، وَهَذِهِ الأَبياتُ هِيَ: (٨ ، ١٠ ، ١٤ ، ١٥ ، ٢٣ ، ٢٧ ، ٣٧ ، ٣٩ ، ٤٢ ، ٤٣ ، ٤٤) .

وَسَأَتَطَرَّقُ لِثَلاثَةِ مُستَوَياتٍ مِن مُستَوَياتِ حَرَكَةِ الرَّحِيلِ المحدِثَةِ فِي الزَّمَنِ تَحَوُّلاً أَو تَجَدُّدًا .

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية

أ/ ٥ -فِي البَيتِ العاشِرِ :

أُحـــاذِرُ أَن يَشُـــقَّ عَلَـــى المطايـــا فَـــلا تَمشِـــي بِنـــا إِلّا سِـــواكا

يُجَسِّدُ المتَنَبّي بُطءَ الزَّمَنِ فِي مُتَضَمَّنِ حَدِيثِهِ عَنِ الرَّحِيلِ ، وَإِن جاءَ هَذا فِي سِياقِ المدِيحِ وَشُكرِ الممدُوحِ ، إِلّا أَنَّهُ يَحمِلُ مَعنَى الثِّقَلِ الَّذِي يُحِسُّ بِهِ المتَنَبّي داخِلَ نَفسِهِ ، وَهُوَ نَفَسٌ ظاهِرٌ فِي القَصِيدَةِ ، يُبِينُ استِثقالَهُ لِلرَّحِيلِ مَعَ رَغبَتِهِ فِيهِ ، وَإِن لَم يَكُن ذَلِكَ الاستِثقالُ لِلرَّغبَةِ فِي المقامِ ، وَإِنّما لِتَعَبِهِ مِن الحَياةِ وَتَهَدُّمِ أَحلامِهِ وَأَمانِيهِ .

ب/ ٥ -وَفِي البَيتِ الخامِسَ عَشَرَ :

أَرَى أَســـفِي وَمـــا سِـــرنا شَـــدِيدًا فَكَيـــفَ إِذا غَـــدا السَّـــيرُ ابتِراكـــا

فَهُما حَرَكَتانِ أَو نَمَطانِ لِلسَّيرِ ؛ ابتِداءً بِالسَّيرِ الهادِئِ الَّذِي يَتَناسَبُ مَعَ لَحَظاتِ الوَداعِ المصاحِبَةِ لِلتَّرَدُّدِ وَاستِثقالِ المسِيرِ ، ثُمَّ سَيرٌ شَدِيدٌ سَرِيعٌ يَحِدُّ فِيهِ المسافِرُ نَحوَ غايَتِهِ ، وَهَذانِ النَّمَطانِ تَمهِيدٌ لِلمَعنَى الَّذِي أَرادَهُ فِي البَيتِ التّالِي (**وَهَذا الشَّوقُ قَبلَ البَينِ سَيفٌ** ...) وَإِن لَم يَحمِل مَعنَى حَرَكَةِ السَّيفِ إِلّا أَنَّهُ أَدَّى حَرَكَةً أُخرَى يَقتَضِيها السَّيرُ وَهِيَ البَينُ وَضَربُهُ وَأَثَرُهُ .

ج/ ٥-فِي البَيتِ الثّالِثِ وَالأَربَعِينَ :

وَمـــا أَنـــا غَيـــرُ سَـــهمٍ فِـــي هَـــواءٍ يَعُـــودُ وَلَـــم يَجِـــد فِيـــهِ امتِســـاكا

فِيهِ تَجسِيدٌ عَجِيبٌ لِسُرعَةِ الزَّمَنِ ، قالَ ابنُ جِنِّي : « لَم يُقَل فِي سُرعَةِ الأَوبَةِ وَتَقلِيلِ اللُّبثِ كَهَذا فِي المبالَغَةِ » [١] . وَكَأَنَّهُ يُلَخِّصُ رِحلَتَهُ فِي الحَياةِ بِهذا التَّشبِيهِ البَدِيعِ القائِمِ عَلَى الحَرَكَةِ ، وَ« مِمّا يَزدادُ بِهِ التَّشبِيهُ دِقَّةً وَسِحرًا أَن يَجِيءَ فِي الهَيئاتِ الَّتِي تَقَعُ عَلَى الحَرَكاتِ » [٢] ، بَل وَاعتَمَدَ فِيهِ عَلَى حاسَّةِ البَصَرِ مكَوِّنًا صُورَةً مُعَبِّرَةً بِدِقَّةٍ عَن سُرعَةِ الزَّمَنِ ، وَ« الزَّمَن البَصَرِيُّ يَجرِي بِسُرعَةٍ أَكبَرَ » [٣] ؛ فَكَأَنَّهُ سَهمٌ أُطلِقَ فِي الهَواءِ (وَهُنا سُرعَةُ الزَّمَنِ وَسُرعَةُ سَيرِهِ فِي الحَياةِ وَسُرعَةُ قَطعِهِ لِمَداها) ، ثُمَّ عادَ إِلَى نُقطَةِ النِّهايَةِ دُونَ أَن يَحمِلَ مَعَهُ ما انطَلَقَ لِأَجلِهِ فِي الحَياةِ مِن أَحلامٍ (**يَعُودُ وَلَم يَجِد فِيهِ امتِساكا**) ، وَلَيسَت نُقطَةُ النِّهايَةِ إِلّا مُنطَلَقَ الرِّحلَةِ ، فَكَما بَدَأَ انتَهَى ، وَهَذا فِي مُنتَهَى الخَيبَةِ وَالحِرمانِ ، وَأَداؤُهُ يَحكِي غايَةَ الملَلِ بَل وَالاستِسلامِ .

(١) الفسر ٢/ ٦٥٥ .

(٢) أسرار البلاغة ١٨٠ .

(٣) غاستون باشلار ، جدلية الزمن ١١٦ .

الختامُ :

وَبَعدُ ، فَإِنَّ العَمَلِيَّةَ الإبداعِيَّةَ بِاختِلافِ مُنشِئِيها وَعُصُورِهِمُ الثَّقافِيَّةِ وَظُرُوفِهِمُ البِيئِيَّةِ وَالاجتِماعِيَّةِ تَظَلُّ حَمّالَةَ قِراءاتٍ وَافتِراضاتٍ مُتَعَدِّدَةٍ ، وَإِنَّما مَحَلُّ ذَلِكَ القُدرَةُ عَلَى مُحاوَلَةِ التَّلَقِي بِما يَستَصحِبُهُ القارِئُ مِن تَمامِ الأَداةِ وَدِقَّةِ النَّظَرِ .

مجلة كلية الدراسات الإسلامية والعربية

وَالمتَنَبّي كانَ وَلا يَزالُ مِن أَهَمِّ مَواطِنِ النَّظَرِ وَالتَّحلِيلِ وَالتَّأوِيلِ لَدَى الدّارِسِينَ ، وَقَد تَنازَعَ النّاسُ الأَحكامَ حَولَ شِعرِهِ وَشاعِرِيَّتِهِ وِفقَ مَشارِبَ مُختَلِفَةٍ بَل وَمُتَباينَةٍ أَيضًا ، وَقَصَدتُ مِن هَذِهِ الدِّراسَةِ الوُقُوفَ عَلَى شَيءٍ مِن أَسرارِهِ الأَخِيرَةِ الَّتِي بَثَّها فِي خِتامِ شِعرِهِ بَعدَ أَن عَرَفَ الدُّنيا وَخَبَرَ النّاسَ ، وَاستَعَدَّ لِلرَّحِيلِ عَنِ الحَياةِ ، وَقَد أَدَّى فِي هَذِهِ القَصِيدَةِ ذَلِكَ الاضطِرابَ المصاحِبَ لِهَذِهِ المرحَلَةِ المهِمَّةِ مِن حَياتِهِ وَشِعرِهِ .

وَاستَنطَقَ المتَنَبّي فِي هَذِهِ القَصِيدَةِ الزَّمانَ بِأَبعادِهِ المختَلِفَةِ وَوَظَّفَهُ تَوظِيفًا كَثِيفًا مِن حَيثُ العَدَدُ وَالدِّلالَةُ ، وَقَد استَقامَ لِلنّاظِرِ شَيءٌ مِن حُكمِ المتَقَدِّمِينَ عَلَى خاصِّيَّةِ هَذِهِ القَصِيدَةِ وَخَبَرِها الوَداعِيِّ .

وَأَيًّا ما كانَ الأَمرُ فَإِنَّهُ لا يَكادُ يُجاوِزُ رُتبَةَ المحاوَلَةِ فِي التَّأَمُّلِ وَرَفعِ سُتُرِ المعانِي الأُولَى لِلوُصُولِ نَحوَ التَّحلِيلِ .

المصادر والمراجع :

أولا : الكتب :

١. -**الأزمنة والأمكنة** ، أبو علي المرزوقي ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة .

٢. -**أسرار البلاغة** ، الإمام عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق محمود شاكر ، دار المدني ، جدة ، الطبعة الأولى ، ١٩٩١ .

٣. -**البداية والنهاية** ، ابن كثير ، تحقيق د. أحمد أبو ملحم وآخرون ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤٠٥ .

٤. -**التبيان في شرح الديوان** ، المنسوب للعكبري ، تحقيق د. كمال طالب ، دار الكتب العلمية، بيروت ، الطبعة الثانية ، ٢٠٠٨ .

٥. -**جدلية الزمن** ، غاستون باشلار ، ترجمة خليل أحمد خليل ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع ، بيروت ، الطبعة الثالثة ، ١٩٩٢ .

٦. -**دلائل الإعجاز**، الإمام عبد القاهر الجرجاني ، تحقيق محمود شاكر ، مطبعة المدني ، مصر وجدة ، الطبعة الثالثة ، ١٩٩٢ .

٧. -**ديوان أبي الطيب المتنبي** ، شرح العلامة الواحدي ، عناية فريدرخ ديتربصي ، دار الكتاب الإسلامي ، القاهرة ، ١٢٧٧/ ١٨٦١ .

٨. -**ديوان أشجع بن عمرو السلمي** ، جمع خليل الحسون ، دار المسيرة ، بيروت ، الطبعة الأولى، ١٩٨١ .

٩. -**ديوان كعب بن زهير** رضي الله عنه ، تحقيق علي فاعور ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ١٤١٧ .

١٠. -**الزمان والمكان في شعر أبي الطيب المتنبي** ، د. حيدر لازم مطلك ، دار صفا ، الأردن ، الطبعة الأولى ، ٢٠١٠ .

١١ . -**سير أعلام النبلاء** ، الإمام الذهبي ، تحقيق محمد أيمن الشبراوي ، دار الحديث ، القاهرة ، ١٤٢٧ .

١٢ . -**شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك** ، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية، بيروت ، ١٤٢٦ .

١٣ . -**شرح كتاب سيبويه** ، أبو سعيد السيرافي ، تحقيق د. رمضان عبد التواب ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٩٠ .

١٤ . -**شرح المشكل من شعر المتنبي** ، ابن سيده ، تحقيق مصطفى السقا وحامد عبد المجيد ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، الطبعة الأولى ، ١٩٧٦ .

١٥ . -**شرح مشكلات ديوان شعر أبي الطيب المتنبي (الفتح على أبي الفتح)** ، ابن فورجة ، تحقيق د. عبد الله الفلاح ، نادي القصيم الأدبي ، بريدة ، الطبعة الأولى ، ١٤٤٠ .

١٦ . -**شرح المفصّل للزمخشري** ، ابن يعيش ، اعتنى به د. إميل يعقوب ، دار الكتاب العلمية ، بيروت، الطبعة الأولى ، ١٤٢٢ .

١٧ . -**شعرية الصراع (مقاربة نصية في شعر المتنبي)** ، د. مفلح الحويطات ، هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة ، دار الكتب الوطنية ، أبو ظبي ، الطبعة الأولى ، ١٤٣٨ .

١٨ . -**الصبح المنبي عن حيثية المتنبي** ، الشيخ يوسف البديعي ، تحقيق مصطفى السقا ومحمد شتا وعبده زيادة ، دار المعارف ، الطبعة الثالثة .

١٩ . -**الصفوة في معاني شعر المتنبي وشرحه** ، أبو اليمن الكندي ، تحقيق د. عبد الله الفلاح ، النادي الأدبي بالرياض ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٩ .

٢٠ . -**الفسر** ، ابن جني ، تحقيق د. رضا رجب ، دار الينابيع ، دمشق ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٤ .

٢١ . -**الفسر الصغير** ، ابن جني ، تحقيق د. عبد العزيز ناصر المانع ، مركز الملك فيصل للبحوث

والدراسات الإسلامية ، الرياض ، الطبعة الثانية ، ٢٠٠٩ .

٢٢. -**قشر الفسر** ، أبو سهل الزوزني ، تحقيق د. رضا رجب ، دار الينابيع ، دمشق ، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤ .

٢٣. -**قشر الفسر** ، أبو سهل الزوزني ، تحقيق د. عبد العزيز ناصر المانع ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٦ .

٢٤. -**الكامل في التاريخ** ، ابن الأثير ، عني به نخبة من العلماء ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، الطبعة الرابعة ، ١٤٠٣ .

٢٥. -**لسان العرب** ، ابن منظور ، مراجعة وتدقيق د. يوسف البقاعي وإبراهيم شمس الدين ونضال علي ، مؤسسة الأعلمي للمطبوعات ، بيروت ، الطبعة الأولى ، ٢٠٠٥ .

٢٦. -**اللامع العزيزي** ، أبو العلاء المعري ، تحقيق د. عبد الله الفلاح ، دار الصحوة ، ١٤٣٦ .

٢٧. -**اللامع العزيزي** ، أبو العلاء المعري ، تحقيق محمد سعيد المولوي ، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية ، الرياض ، الطبعة الأولى ، ٢٠١٢ .

٢٨. -**اللغة وبناء الشعر** ، د. محمد حماسة عبد اللطيف ، مكتبة الزهراء ، القاهرة ، الطبعة الأولى، ١٩٩٢ .

٢٩. -**المثل السّائر في أدب الكاتب والشاعر** ، ابن الأثير ، تعليق د. أحمد الحوفي ، د. بدوي طبانه ، دار نهضة مصر ، القاهرة .

٣٠. -**المرشد إلى فهم أشعار العرب** ، عبد الله الطيب ، الكويت ، الطبعة الثالثة ، ١٤٠٩ .

٣١. -**معجز أحمد** ، أبو العلاء المعري ، تحقيق د. عبدالمجيد دياب ، دار المعارف ، مصر ، الطبعة الثانية ، ١٩٩٢ .

٣٢. -**مغني اللبيب عن كتب الأعاريب** ، ابن هشام ، تحقيق د. مازن المبارك ، محمد علي حمد الله،

راجعه : سعيد الأفغاني ، دار الفكر ، بيروت ، الطبعة الخامسة ، ١٩٧٩ .

٣٣. -**الوساطة بين المتنبي وخصومه** ، القاضي الجرجاني ، تحقيق علي البجاوي ، المكتبة العصرية، بيروت ، الطبعة الأولى ، ١٤٢٧ .

٣٤. -**وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** ، ابن خلكان ، تحقيق د. يوسف طويل ، د. مريم طويل ، دار الكتب العلمية ، لبنان ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩ .

ثانيا : المجلات :

١. **أبعاد عصرية في شعر المتنبي** ، حاتم محمد ، مجلة آفاق عربية ، بغداد ، عدد٣ ، سنة ١٩٧٦ .

٢. **كافيّة المتنبي الأخيرة وإشارات تنبؤٍ بالرحيل** ، د. إبراهيم بن محمد البطشان ، مجلة عالم الكتب ، المجلد ٢٨ ، عدد ٥-٦ ، الربيعان / الجماديان ١٤٢٨ .